دراسة

# انعكاسات التحولات الدولية الراهنة على التنافس التركي-الإيراني في الشرق الأوسط

05 يوليو 2022

د. عبدالرؤوف مصطفى الغنيمي
باحث بالمعهد الدولي للدراسات الإيرانية (رصانة)

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

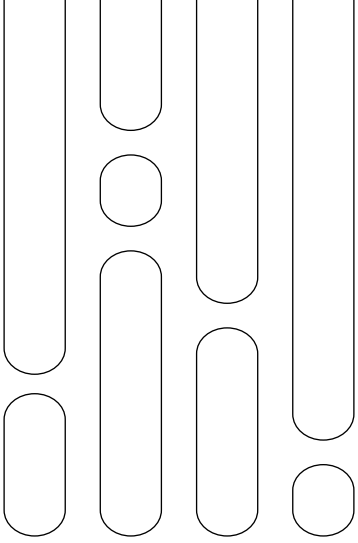

# المحتويـــات


المقدمة ..... 3

أولًا: مظاهر وملامح التحولات الدولية الراهنة ..... 5

ثانيًا: تأثير التحولات الدولية على الصراع التركي-الإيراني ..... 11

ثالثًا: الأهداف التركية-الإيرانية من التصعيد في الدائرة الشرق أوسطية ..... 16

الخلاصة ..... 21

www.Rasanah-iiis.org

Rasanahiiis info@rasanahiiis.com +966112166696

## المقدمة

بينما لا يزال يرزح العالم في تبعات جائحة كورونا وتحوراتها التي شكَّلت أكبر تهديدٍ للجنس البشري في كافة أصقاع الأرض، وأخطر تأثيرٍ على اقتصاديات الدولِ وحياة شعوبها منذ مطلع القرن الواحد والعشرين، تتوالى التحولات الدولية الكبرى المؤثرة على مضمون وأدوات وأهداف السياسات الخارجية للدول الكبرى والمتوسطةِ القوة على السواء من ناحية أولى، وعلى مستويات التنافس بين القوى الإقليمية المتنافسة، ومتقاربة القوة، الساعية لمد نطاق نفوذها وتأمين مصالحها الحيوية والمصيرية في الأقاليم الجغرافية ذات الأهمية الجيو-إستراتيجية في الإستراتيجيات الدولية من ناحية ثانية، وعلى أولويات الأقاليم الجغرافية في أجندات القوى الدولية الكبرى والعظمى الممّسكة بزمام النظام الدولي القائم، وعلى خريطة المحاور والتحالفات الإقليمية والدولية القائمة إما بتعاظم قوتها وثقلها الإقليمي والدولي أو ببزوغ محاور وأحلاف إقليمية ودولية جديدة مناهضة من ناحية ثالثة، وعلى موقع ومكانة الدول الإقليمية متقاربةِ القوة في تراتبية النُظم الإقليمية الفرعية من ناحية رابعة.

تركيا وإيران، باعتبارهما قوتين إقليميتين متقاربتين في القوة، ومتنافستين في العديد من الدوائر الجغرافية مثل الشرق الأوسط والبحر الأحمر والقرن الإفريقي بل وشرق إفريقيا وغربها وآسيا الوسطى وأمريكا اللاتينية، حلَّت بينهما مرحلة مفصلية جديدة من التنافس في الدائرة الشرق أوسطية بفعل التحولات الدولية الراهنة لا سيما مع قُرب انتهاء معاهدة لوزان بحلول 2023م، حيث هرولت كليهما لاستغلال الواقع الشرق أوسطي الجديد في محاولة منهما لحماية وتأمين المنافع من المسائل الحيوية (الغاز الطبيعي) في الساحة الشرق أوسطية الناجمة عن أزمة الطاقة العالمية التي خلَّفتها الحرب في أوكرانيا من ناحية، وملء الفراغ الإستراتيجي الناجم عن مبدأ الانسحابات العسكرية الأمريكية من ناحية ثانية، وفي هذه الحالة تسعى كلٌ منهما إلى تبوء موقع القيادة الإقليمية بالتغلُّب على الثانية في الدائرة الشرق أوسطية من خلال العديد من الأدوات، بينها استخدام القوة المسلحة في الساحات التي يتقاطع فيها النفوذ أو تدعيم نظام تحالفاتها باستقطاب الدول في بقية الدوائر الجغرافية التنافسية، أو ترغيب الدول غير المنضمة للانضمام إلى محورها.

تركز الدراسة على تحليل المرحلة الجديدة من التنافس بين الدولتين في الدائرة الشرق أوسطية لطبيعة المرحلة التي تمر بها المنطقة على خلفية تراجع أولويتها في الإستراتيجية الأمريكية ووضع قوى دولية صاعدة أسس لنظام دولي جديد ستلقي بظلالها على الشرق الأوسط لكونه منطقة اختبار حقيقية لتراتبية القوة في النظام الدولي، واحتواء بعض دولها على احتياطات ضخمة من الغاز الطبيعي الذي بات رقمًا مهمًا وعاملًا جديدًا في الصراعات الدولية على خلفية العجز الشديد في الكمية المعروضة عقب استخدام روسيا الغازَ كورقة ضغط ضد الدول الأوروبية، ما سيشعل الصراع التركي-الإيراني باعتبار أن إيران ضمن الدول ذات الاحتياطات العالمية من الغاز، وتطمح في استغلال فرصة الحاجة الأوروبية للغاز البديل للغاز الروسي في تعميق علاقاتها التجارية مع الأوروبيين، ومساعي تركيا الإقليمية لتصبح مجمعًا للغاز الشرق أوسطي لتصديره إلى الدول الأوروبية ما سيفقد إيران فرصةً محتملة لتعزيز علاقاتها التجارية بأوروبا، علاوةً على الدوافع التقليدية

للدولتين للتنافس على هذه الدائرة الجيو-إستراتيجية، المرتبطة بتوجهات النظامين من ناحية، وبموقعها الجيوسياسي ومواردها وخيراتها وثرواتها الطبيعية وتركيبتها الاجتماعية والدينية من ناحية ثانية.

وعليه، تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية: يحلل الأول مظاهر وملامح التحولات الدولية الراهنة وتحولات القوة في النظام الدولي الراهن، ويبحث الثاني في تجلّيات تأثير التحولات الدولية على الصراع التركي-الإيراني، بينما يتطرّق الثالث للأهداف التركية-الإيرانية من التصعيد في الدائرة الشرق أوسطية.

## أولًا: مظاهر وملامح التحولات الدولية الراهنة

تشير التحولات الدولية إلى حدوث تغيرات دولية جوهرية، لن تتوقف تأثيراتها عند دولة بعينها بل تمسُّ غالبية الدول، مثلما جرى بمراحل تحول النظام الدولي السابقة، وتحدث هذه التحولات على مستوى بعينه، أو على كافة المستويات: السياسية، مثل تحديات القوى الدولية الصاعدة للقواعد المستقرة في النظام الدولي القائم، أو إعادة اصطفاف القوى الدولية في محاور جديدة تتعارض وتوجهات النظام الدولي، وإدراك القوة أو القوى المتحكّمة في النظام الدولي لهذه التحولات مع تبنيها سياسات التطويق للقوى الدولية الصاعدة، والاقتصادية، مثل اندلاع أزمات ذات تأثير كبير على الاقتصاد العالمي كأزمة الطاقة الراهنة، والتي لم تستطع القوى الممّسكة بالنظام الدولي بمفردها مواجهتها، ما يؤثر على معدل التنافس بين القوى الإقليمية المتنافسة متقاربةِ القوة عند التحرك لممارسة دورها، والعسكرية، مثل إعلان إحدى أو بعض القوى الدولية الصاعدة الحربَ ضد دولة محسوبة على المحور الأقوى في العالم، أو مساعيها لتقليص حجم الفجوة العسكرية مع القوى الدولية ذات المقدرات العسكرية الأقوى والأكبر في العالم.

وكذلك، يكون من شأنها -أيضًا- التأثير على أنماط وأدوات وأهداف السياسات الخارجية لأكبر عدد من الدول في المجتمع الدولي لا سيما القوى الإقليمية ذات النزعة التوسعية، أو الدفع نحو إحداث تغييرات في النظام الدولي القائم من نمطه الأحادي إلى الثنائية أو إلى التعددية القطبية أو إلى العكس، وفيما يلي أبرزُ مظاهر التحولات الدولية الراهنة، التي من شأنها رسم

معـادلات إقليميــة ودولية جديدة تزيد من حــدة التنافس بين القوى الإقليمية المتصارعة على موقع القيادة الإقليمية:

**1. التحدي الروسي للقواعد الدولية المستقرة منذ نهاية الحرب الباردة:**

بسياســاتها المناوئة للولايات المتحدة في الأقاليم الجغرافية المختلفة على المســتوى الدولي لتعظيم نطاق نفوذها العالمي منــذ بداية العقد الثاني من الألفيــة الثالثة، وبمســاعيها لخلق محور قــوة عالمي يُضاهي قــوةَ المحور الأمريكي-الأوروبــي، وبمحاولاتها الدائمة لتقليــص الفجوة في ميزان القوى الدولــي لغير صالح الولايــات المتحدة، وباتخاذها قــرارات بإعلان الحرب ضد الحلفاء الإســتراتيجيين للمعسكر الغربي مثل قرار الحرب ضد أوكرانيا فبرايــر 2022م، تكون روســيا قد تحــدَّت القواعد الدولية المســتقرة التي أرستها الولايات المتحدة على خلفية انتصارها على الاتحاد السوفيتي السابق منــذ نهاية الحرب الباردة مطلع تســعينات القرن العشــرين وإعلانها النظام العالمــي الجديــد[1] لتكريس عصر الهيمنة الأمريكيــة المنفردة على العالم، وإيذانًا ببدء عصر جديد تكــون فيه الولايات المتحدة الحارس المنفرد على الشــرعية الدولية وصاحبة اليد الطولى في القرارات السياسية والاقتصادية والعســكرية الدولية، والانفــراد بقيادة العالم والتصرف بصــورة فردية دون حاجة للحلفاء التاريخيين أو الإســتراتيجيين أو التقليديين للولايات المتحدة، وتوجيه القرارات الأممية لخدمــة مصالحها، مع تجنُّب الدول اتخاذ قرارات تنــال من الهيبــة أو الهيمنة الأمريكية الدولية أو تدفع نحو إحلال نظام دولي جديد يُفقد الولايات المتحدة هيمنتها الدولية المنفردة.

أوكرانيا دولة محسوبة على المعسكر الغربي القادر على إحداث تحولات عالمية كبــرى نتيجة اســتحواذ أعضائه على أكبر المقدرات العســكرية والاقتصادية، بمقاييــس عالمية، وهيمنة أحد أعضائه الولايــات المتحدة على النظام الدولي بشكل منفرد، وسيطرة أعضائه على مجلس الأمن الدولي بحكم امتلاك ثلاثة من أعضائه من أصل خمسة أعضاء دائمين في مجلس الأمن على حق النقض (الفيتو)، بل وامتلاك هذا المعســكر لتحالف عســكري هــو الأقوى في العالم

(1)–Don Oberdorfer, Bush's talk of a 'New World Order' Forign Policy Tool or mere Slogan?, (May 26, 1991), Accessed: Jun2022 ,10 , https://wapo.st/3xN7bSh.

(حلـف الناتو)، ومـن ثم يُعد تأكيد البيـان الختامي للقمة الروسـية-الصينية ببكين مطلع فبراير 2022م دخولَ العلاقات الدولية حقبة جديدة لغير صالح المعسـكر الغربي[1]، وبعدها القرار الروسـي بشـن الحرب في أوكرانيا، التي يعتبرهـا الروس ضمن فضائهم التاريخـي، بمثابة خروج عن القواعد الدولية التي أرسـتها الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة، ورسـالةً بأنه ليست الولايـات المتحدة وحلفاؤهـا التاريخيون، وحدهم، القـادرون على التأثير في مجريـات الشـؤون الدولية بل هناك أقطـابٌ دولية صاعدة تسـتطيع التأثير أيضًا ليس فقط في مجريات الشـؤون الدولية، وإنما في إحداث تحولات في صلب النظام الدولي ذاته وانتقاله لنظام دولي متعدد الأقطاب.

وبالتالي سيُلقي التدخل الروسي في أوكرانيا بتأثيره على خرائط التحالفات والسياسـات الإقليميـة والدوليـة، وعلى مسـتويات التنافس بـين الدول في المحيطين الإقليمي والدولي، لأن الحرب في أوكرانيا أدت إلى أزمة في إمدادات الغاز الطبيعي (مسـألة حيوية للدول) تهم اللاعبين الإقليميين والدوليين على السـواء نتيجة القرار الروسي بوقف تدفق الغاز للدول الأوروبية المعتمدة على الغاز الروسي بشكل رئيسي كورقة ضغط مؤثرة ضد قادتها لثنيهم عن تقديم الدعم العسـكري لأوكرانيا، وهو ما أدى إلى حدوث فجوة شاسـعة بين الطلب العالمي على الغاز الطبيعي والكمية المعروضة منه بل وإشـعال أسـواق الطاقة العالمية لمسـتويات قياسـية، وبحث الـدول الأوروبية عن بديل للغاز الروسـي للتحلـل مـن ورقة الضغط الروسـية ضـد الأوروبيين، وهو مـا فاقم من حدة التنافس بين الدول للحصول على قدر من الحاجة الأوروبية للغاز البديل للغاز الروسي.

### 2. الانسحابات العسكرية الأمريكية من الأقاليم الجيو-إستراتيجية:

تشكِّل الانسحابات العسكرية الأمريكية خلال الإدارتين الأمريكيتين: السابقة بقيـادة الرئيس دونالـد ترامب والحاليـة بقيادة الرئيس جـو بايدن، تحولًا إسـتراتيجيًا مهمًا للغاية ضمن التحولات الدولية الراهنة، لكونها انسحابات

(1)–kremlin, Joint Statement of the Russian Federation and the People's Republic of China on the International Relations Entering a New Era and the Global Sustainable Development,(Feb 4, 2022), Accessed: Jun 2022 ,10, http://en.kremlin.ru/supplement/5770.

عسكرية لدولة عظمى قادرة على ضبط المعادلات الأمنية والسياسية وتوازناتها بالأقاليم الجيو-إستراتيجية التي تهم الفواعل الإقليمية والدولية بحكم خصائصها وأهميتها السياسية والثقافية ومواردها الاقتصادية ومواقعها الجيوسياسية في تنفيذ مسارات وخطوط الطاقة (النفط والغاز الطبيعي)، بل وتقاطع مصالح العديد من الفواعل والقوى الإقليمية والدولية فيها، أبرزها الانسحاب العسكري الأمريكي من إقليم الشرق الأوسط، ثم من إقليم وسط آسيا تحديدًا من أفغانستان.

تكمن خطورة الانسحابات العسكرية الأمريكية في إحداثها فراغًا إستراتيجيًا، وإيجادها ساحةَ تحرك أمام القوى الإقليمية -ذات النزعة التوسعية- المتصارعة لملئها واغتنامها ومد نطاق النفوذ إليها، فالسياسة مثل الطبيعة تخشى الفراغ كما يقول أرسطو، كما أن سياسة «ملء الفراغ» تبنَّتها إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق آيزنهاور في ستينات القرن العشرين في صراعها الدولي مع الاتحاد السوفيتي السابق بالقارة الآسيوية والإفريقية والشرق الأوسط على خلفية انسحاب القوى الاستعمارية التقليدية مثل فرنسا وبريطانيا منها، وذلك ضمن إستراتيجية أمريكية لملئها الفراغ الناجم عن الانسحاب الفرنسي والبريطاني، وبسط السيطرة الأمريكية عليها تجنبًا لمخاطر المد الشيوعي المتعاظم آنذاك تجاه الدوائر الأسيوية والإفريقية والشرق أوسطية.

ولذلك شكَّلت حالةُ الفراغ الإستراتيجي التي خلَّفها الانسحابُ الأمريكي من الشرق الأوسط ووسط آسيا بدايةَ مرحلة جديدة، ليس فقط في تاريخ هذه الأقاليم الجيو-إستراتيجية، وإنما في مسارات الأمن الإقليمي ولعبة التوازنات بالشرق الأوسط ووسط آسيا، عزَّزت من اندفاع القوى المتصارعة مثل تركيا وإيران للتحرك السريع نحوهما لملء الفراغ الناجم عن الانسحاب الأمريكي وترسيخ موطئ قدم إستراتيجية، وذلك لاعتبارات تتعلق بالموقع الجيو-سياسي الحساس للغاية لمناطق الانسحابات في الشرق الأوسط وكذلك لأفغانستان في وسط وجنوب وغرب آسيا، ما جعلها محطةَ ترانزيت للسلع الإستراتيجية ومفصلًا رئيسيًا في حركة التجارة الدولية، ومنطقة رئيسية لتنفيذ المشروعات المتعلقة بخطوط نقل الطاقة والموانئ التجارية الدولية

وطريـق الحرير الصيني[1] على نحو أدخلها بؤرة الاهتمام الجيو-إسـتراتيجي للعديـد من الـدول، وجعلها أيضًا مناطق تقاطع مصالـح حيوية تهم اللاعبين الإقليميين والدوليين، ومن ثم فالحضور في هذه الدول مفتاحٌ رئيسـي لتنفيذ المشروعات الدولية العابرة للحدود.

### 3. تحولات القوة في النظام الدولي الراهن:

يلحظ المتابعون لهرم تراتبية الفواعل الدولية في النظام الدولي من حيث معدل القوة الشـاملة، تحولات جوهرية، في القوتين الصينية والروسية الصاعدتين بقوة على السـاحة الدولية ليس فقط من تقليصهم فارقَ القوة الشـاملة مع القـوة الأمريكيـة المتربِّعة على عـرش النظام الدولي، وبمـد نطاق نفوذهم لمناطق حيوية تشـكِّل حدائق خلفية ومناطق نفـوذ تاريخية للقوة الأمريكية، وبتشـكيلهم صيغًا أمنية وتحالفات عسـكرية واقتصادية حـول العالم مناوئة للتحالفات الأمريكية مثل منظمة شنغهاي للتعاون، وتجمع بريكس الاقتصادي العالمي، والبنك الآسـيوي للاستثمار في البنية التحتية.. إلخ، إنما من خلال مزاحمتهم للولايات المتحدة لإرساء نظام دولي متعدد الأقطاب وتبديل ميزان القوى الدولي لغير صالحها.

تكشـف نتائج تطبيق معادلة ديفيد سـنغر لقياس توزيع القوة عالميًا بين بين الولايات المتحدة والصين وروسيا بموجب العديد من المؤشرات أبرزها إجمالي النـاتج المحلـي وحجم التجـارة الخارجية وحجـم الديون وحجم المسـاعدات الخارجية والقوة العسـكرية والإنفاق العسكري وقبول الرأي العام الدولي لها كقيـادة عالميـة، أنَّ القوةَ العالمية تتـوزع في الوقت الراهـن كالتالي: الولايات المتحـدة 38.1% والصين 34.5% وروسـيا 27.2%، مـا يعني أنَّ النظام الدولي يتحوّل تدريجيًا نحو التعددية القطبية[2].

أشـغلت هذه التحولات الولايات المتحدة في إعداد الإسـتراتيجيات وتغيير السياسات وتعظيم التحالفات العسكرية الجديدة في مناطق جغرافية مختلفة تشـكِّل فضـاءات حيوية لخصومهـا الدوليين بقصد احتوائهـم وتطويقهم من

---

(1)–د. ناجـي خليفـة الدهان، ملامح الصراع على مسـتقبل أفغانسـتان بعد الانسـحاب الأمريكـي، مركز أمية للبحوث والدراسـات الإستراتيجية، (30 يوليو 2021م)، تاريخ الاطلاع: 07 يونيو 2022م، https://2u.pw/ash0C.

(2)–د. وليـد عبد الحي، التوزيع الحالي للقوة العالميـة، جيوبوليتيكا، (25 مايو 2022م)، تاريخ الاطلاع: 10 يونيو 2022م، https://bit.ly/3tRLW0e.

ناحيــة، والحفــاظ على هيمنتهــا العالمية المنفردة من ناحيــة ثانية، ومن ثم لم يعــد مبــدأ تحجيم القوى الإقليمية ذات النزعة التوســعية الأولوية الأولى في أجنــدات الفواعل الدولية المتنافســة لا ســيما الفاعل الأمريكــي، كما لم تعد أيضًا منطقةُ الشــرق الأوســط الأولويــةَ الأولى في الإســتراتيجية الأمريكية مقابــل إيلاء الأولوية للاتجاه شــرقًا لتطويق العمــلاق الصيني وبخاصة على خلفية تحسن الوضع الأمني لإسرائيل في الشرق الأوسط من خلال اتفاقيات التطبيــع؛ وبالتبعيــة تراجعت الضغــوط الدوليــة المتأتية من النظــام الدولي الأحــادي القطبية ومن الفواعل الدولية الصاعدة على الســاحة الدولية على القوى الإقليمية ذات النزعة التوســعية التي تتعارض مصالحها ومصالح هذه الفواعل الدولية.

وتــرى افتراضات مدارس القوة أنَّ القوى الإقليميــة المتصارعة تتبنَّى مبدأ «تأجيل الصراع» عندما تكون السياســات الضاغطة من النظام الدولي شاملة لكافة القوى المتنافســة التي ترى في تغاضيها عمَّا يســود بينها من صراعات في ســاحات النفوذ مكاسب جماعية في ســبيل مواجهة الضغوط المتأتية من القوة الدولية الممّسكة بزمام النظام الدولي، دون أن يعني ذلك انتفاءَ التنافس القائــم، ويتعاظــم الصراع بينهما عندمــا تنتفي أو تتراجــع الضغوط الدولية المتأتية من النظام الدولي لا سيما النظام الدولي الأحادي القطبية.

وهذا ما يقدِّم تفســيرات لتراجع مســتويات التنافــس التركي-الإيراني إبَّان فترة الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، جرَّاء الضغوط الأمريكية القوية علــى الدولتــين على الســواء، وذلك بوقــوف أنقرة بجانب طهــران في رفض العقوبــات التي فرضتها إدارته لتتعرض أنقرة لعقوبات مماثلة، وذلك بخلاف فترة الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما، والرئيس الحالي جو بايدن، التي شــهدت تراجعًا للضغوط الأمريكية على الدولتين مقارنةً بفترة ترامب نتيجة زيادة انشغالها بالمكانة الأمريكية الدولية، وفي هذه الحالة يتفاقم الصراع من جديد بين هاتين القوتين المؤثرتين في مجريات الشؤون الإقليمية.

تكشــف هذه التحــولات، عن تبدُّلٍ فــي أولويات محركات الصــراع الدولي والإقليمــي الراهــن بين القوى الدوليــة والإقليمية ببروز لاعبــين جدد نتيجة النقص الكبير في إمدادات الســلع الإســتراتيجية للفواعل الدولية الصناعية،

مـا سـاهمَ فـي تأجيج أزمة الطاقـة جرَّاء العجـز الكبير في إمـدادات الغاز مقابـل تزايـد الطلب العالمـي عليه من ناحيـة أولى، ونقلت الـدول والأقاليم التـي تمتلـك احتياطات من الغاز إلـى الواجهة العالمية وباتـت موضعَ اهتمام إقليمي، ودولي من ناحية ثانية، وتصاعد معدلات ومستويات الصراع الإقليميً والدولـي بتعارض المصالـح والتنافس على خطوط وإمـدادات الغاز لديمومة إنتاجهـا وتعظيم مكانتهـا من ناحية ثالثـة، وتراجع أولويـات دوائر جغرافية في الإسـتراتيجية الأمريكية مثل الشرق الأوسط مقابل صعود أولويات دوائر جغرافية مثل شـرق آسـيا من ناحية رابعة، وانشـغال الفواعـل الدولية بهذه التحـولات لتأثيرهـا على موقعها فـي تراتبية النظام الدولي، وهو ما يُسـهِم بدوره في إشعال التنافس بين تركيا وإيران مقابل تقليص فرص التعاون.

## ثانيًا: تأثير التحولات الدولية على الصراع التركي-الإيراني

ترتَّب على التحولات الدولية بروزُ أربعة متغيرات جوهرية من شـأنها إشعال الصراع التركي-الإيراني: أولها: تعدد حلقات الفراغ الإسـتراتيجي وسـاحات التحرك أمامهما فـي أكثر من بقعة جغرافية جرَّاء الانسـحابات الأمريكية، وثانيها: تراجع أولوية الدائرة الشـرق أوسـطية في الإستراتيجية الأمريكية، وثالثها: انشـغال القوى الكبرى في تعظيم مكانتها وموقعها في تراتبية النظام الدولي، وانشغالها بالحرب في أوكرانيا، ورابعها: بروز الغاز الطبيعي (مسألة حيويـة للدولتيـن) كمحرك جديد للتنافس والصـراع للحصول على جزء من الحاجة الأوروبية للغاز البديل للغاز الروسي، وفيما يلي تجليات تأثير التحولات الدولية على الصراع التركي-الإيراني لا سيما في الدائرة الشرق أوسطية:

### 1. التصعيد العسكري المتبادل في ساحات النفوذ الجيو-إستراتيجية:

لجأت الدولتان التركية والإيرانية إلى اسـتخدام القوة المسلحة في ساحتين إستراتيجيتين في الشرق الأوسط بهدف المزاحمة وملء الفراغ الإستراتيجي بمد نطاق النفوذ، وكذلك حماية المصالح الحيوية:

أ. الساحة العراقية: يرتبط التحول في الصراع التركي-الإيراني في الشمال العراقي[1]* بعدة متغيرات يتقدمها بروز ملف غاز إقليم كردستان العراق كمحرك جديد لتأجيج الصراع في ساحات التنافس، وذلك باتفاق الحكومة التركية مع حكومة كردستان العراق على تزويد تركيا والدول الأوروبية بالغاز، بعد المحادثات التي أُجريت بين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ورئيس الإقليم نيجيرفان بارزاني في أنقرة فبراير 2022م، واستكمال المباحثات على هامش منتدى أنطاليا الدبلوماسي في مارس 2022م.

ويرتبط المتغير الثاني بنية قيادة الإقليم في تصدير الغاز للعالم الخارجي، وما الجولات المكوكية التي أجرتها قيادته في أنقرة والدوحة وأبوظبي ولندن، بهدف الترويج للغاز الكردستاني ليُصبح الإقليم مزوّدًا عالميًا جديدًا للطاقة إلّا دليلًا على ذلك، إذ أكد رئيس حكومة الإقليم مسرور بارزاني أثناء مشاركته في منتدى الطاقة العالمي بدبي 28 مارس 2022م تطلُّع الإقليم للمساهمة في تلبية الطلب العالمي المتزايد على الطاقة[2]، وتأتي جهود الإقليم الكردي للترويج للغاز ضمن مساعيه نحو تعزيز الاستقلالية الاقتصادية، وتُعد الحاجة الأوروبية للغاز فرصةً تاريخية للإقليم لتصدير غازه لتحقيق تلك الاستقلالية.

ويمتلك الإقليم احتياطيًا كبيرًا من الغاز يقدر بنحو 5.6 ترليون متر مكعب[3]، ويُنتج الإقليم، حسب البيانات الرسمية لحكومته قرابة 14.1 مليون متر مكعب يوميًا[4]، ما يضعُه ضمن قائمة أهم المزودين للغاز في العالم، بل ولاعبًا عالميًا جديدًا في مجال الغاز، كما أوضح مراقبون أن هذه الكمية من الغاز قادرةٌ على تلبية الطلب في العديد من الأسواق الإقليمية والدولية، بما في ذلك المساهمة في حاجة تركيا ودول المنطقة والدول الأوروبية من الغاز، ولسنواتٍ عديدة، وهو ما آثارَ مخاوفَ الإيرانيين والروس.

---

(1) * يتضمن إقليم شمال العراق جغرافيًا: إقليم كردستان العراق المكون من ثلاثة محافظات عراقية: دهوك وأربيل وكركوك والسليمانية، بالإضافة إلى المناطق المتنازع عليها بين الدولة المركزية وإقليم كردستان العراق: كركوك وسنجار ومخمور وداقوق وخانقين وطوز خرماتو.

(2)–Reuters, Iraqi Kurdistan has energy capacity to help Europe, says Iraqi Kurdish PM, (Mar 2022 ,28), Accessed: Jun 2022 ,9, https://reut.rs/3MAX9st.

(3)–سبتونيك عربي، إقليم كردستان العراق.. السابع عالميًا في أكبر احتياطي للغاز الطبيعي، (22 يناير 2022م)، تاريخ الاطلاع: 06 يونيو 2022م، https://bit.ly/3ttfCAw.

(4)–موقع حكومة إقليم كردستان العراق، نص كلمة رئيس حكومة إقليم كوردستان في منتدى الطاقة العالمي في دبي، (18 مارس 2022م)، تاريخ الاطلاع: 07 يونيو 2022م، https://bit.ly/3ztvV4p.

بينما يتمثل المتغير الثالث في لجوء الدولتين للقوة المسلحة بذرائع مختلفة لإخفاء حقيقة الصراع على الغاز، فمن ناحية تذرَّعت إيران في قصفها لأربيل في مارس 2022م، بنحو 10 صواريخ بالستية من طراز فاتح 110 من داخل أراضيها، بضرب مواقع الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني المعارض في أربيل ومقرات للاستخبارات الإسرائيلية[1]، بينما قصفت الصواريخ الإيرانية منزلَ رئيس «مجموعة كار» الكردية المعنية بتنفيذ خط الغاز نحو تركيا[2]، وفي المقابل، ردَّت أنقرة على إيران برسائل ردع قوية، بإعلانها عمليةً عسكريةً جديدة منتصف أبريل 2022م تسمَّى بـ«المخلب القفل»، بل وقصفها قضاء جمجال في 05 مايو 2022م بذريعة ضرب مقرات حزب العمال الكردستاني المعارض، ثم ردَّت المدفعية الإيرانية للمرة الثانية بقصفها عددًا من المواقع الكردية بمنطقة سيدكان الحدودية في 11 مايو 2022م[3]، ما يعكس مدى حيوية المسألة بالنسبة للدولتين التركية والإيرانية.

تعكس كثافة التصعيدات التركية-الإيرانية في الشمال العراقي مقارنةً بالتصعيدات السابقة إبان التصعيد التركي-الإيراني لمد نطاق النفوذ في الشمال العراقي في مراحل زمنية سابقة، تحولًا جوهريًا في قضية الصراع لتتحوَّل إلى مسألة حيوية بالنسبة للدولتين التركية والإيرانية لارتباطه بمصلحة اقتصادية حيوية لكلا الدولتين، وهي مرحلة متقدمة للغاية من مراحل الصراع بين دولتين، لأنَّ نجاحَ سياسات أحد الجانبين التركي أو الإيراني تجاهَ ملف الغاز الكردستاني العراقي يشكِّل مكسبًا حيويًا وانتصارًا إستراتيجيًا لهذا الجانب وخسارةً حيوية للجانب الثاني ما يؤثر على معدل القوة الشاملة للدولتين لا سيما في إطار التنافس التركي-الإيراني للحصول على موقع الريادة الإقليمية، ومن ثم يدرك كلا الطرفين أنَّ خسارةَ المسألة الحيوية (المصلحة الاقتصادية المتمثلة في الغاز الكردستاني العراقي) ترتِّب ضررًا بالغًا يمكن أن يلحق بالقوة الشاملة لكليهما، ولذلك يتوقع استمرارية

---

(1)–خبرگزاری باشگاه خبرنگاران، سپاه پاسداران: مرکز توطئه وشرارت صهیونیست‌ها در اربیل را هدف قرار دادیم، (22 اسفند 1400)، تاریخ الاطلاع: 02 أبريل 2022م، https://bit.ly/3H1D1yC.

(2)–Reuters, Exclusive Iran struck Iraq target over gas talks involving Israel – officials, (Mar 2022 ,28), Accessed: Jun 2022 ,9, https://reut.rs/39GR5S8.

(3)–وكالة تسنيم، نيروى زمينى سپاه مقر تروريست‌ها در اربيل را زير آتش توپخانه كرفت، (21 ارديبهشت 1401)، تاريخ الاطلاع: 29 مايو 2022م، https://bit.ly/3wjM2OF.

كليهما في اتخاذ إجراءات فعَّالة بما في ذلك استمرارية اللجوء للقوة المسلحة، لأن فوز أحد الجانبين بهذه المصلحة الحيوية يعني خصمًا من رصيد قوة وقدرات الجانب الثاني، وهو ما يُعلي من فُرص الحالة العدائية بين الدولتين في كافة ساحات التنافس البينية.

ب. الساحة السورية: كما لجأت الدولتان التركية والإيرانية إلى استخدام القوة المسلحة في الشمال العراقي، لجأتا أيضًا إلى استخدامها في الشمال السوري لمركزية الساحتين العراقية والسورية في إستراتيجيتيهما التوسعيتين لاعتبارات جيو-سياسية واقتصادية وأمنية وتاريخية، ووقوعهما ضمن الممرات الإستراتيجية لمشروعاتهم التوسعية وطموحاتهم بعودة أمجادهم الامبراطورية، حيث قصفت ميليشيات إيران في سوريا قاعدًة عسكريةً تركية في ريف حلب الغربي ضمن ما يعرف بمنطقة «خفض التصعيد الرابعة» شمالي غرب سوريا، وسبقت الميليشيات قصفها للقاعدة التركية باستقدام تعزيزات عسكرية ونشرتها في مناطق عمليات درع الفرات وغصن الزيتون، مع استهداف قواتٍ تتبعُ حزب الله اللبناني تدعى «فوج قاسم سليماني» للخط الواصل بين عفرين وأعزاز شمالي حلب الخاضعتين للقوات التركية، وردَّت قوات تابعة لتركيا في منتصف مايو 2022م على مواقع الفوج الإيراني ما أسفر عن مقتل 12 عنصرًا على الأقل[1]، ليس ذلك فقط، بل صعَّدت أنقرة عسكريًا بإعلانها عمليةً عسكريةً جديدة في الشمال السوري في يونيو 2022م، بذريعة أمنية لضرب مقاتلي «حزب العمال الكردستاني» الذي تصنِّفه أنقرة تنظيمًا إرهابيًا في المنطقة الواقعة شرق نهر الفرات بهدف إقامة مناطق أمنة على حدودها الجنوبية تمتد لعمق 30 كلم داخل الأراضي السورية لمنع إقامة ما تسميه تركيا «إنشاء ممر إرهابي» على حدودها الجنوبية.

ويظل الانتهاز التركي والإيراني لانشغال الفواعل الدولية بالحرب في أوكرانيا مع تراجع أولوية المنطقة في الإستراتيجية الأمريكية العاملين الجوهريين في التحرك التركي-الإيراني نحو تعظيم نطاق النفوذ في الساحتين العراقية والسورية، فالانشغال الروسي بالحرب في أوكرانيا عن سوريا على سبيل

(1)–جسور للدراسات، الميليشيات الإيرانية تقود تصعيدًا ميدانيًا جديدًا شمال غرب، (16 مايو 2022م)، تاريخ الاطلاع: 08 يونيو 2022م، https://bit.ly/3O3RZqA.

المثال ترك مساحةً واسعة أمام القوتين التركية والإيرانية لمد نطاق النفوذ في سـوريا لا سـيما في المناطق ذات السلع الإستراتيجية وبخاصة الغاز الطبيعي الـذي يشـكِّل مسـألةً حيوية لا تهم فقـط الدولتين التركيـة والإيرانية، وإنما العديد من الفواعل الإقليمية والدولية.

**2. التنافس الاقتصادي المتبادل لتحجيم النفوذ:**

تعتمدُ حكومةُ رئيسـي على الدبلوماسية الاقتصادية النشطة بتعزيز علاقاتها التجارية طة مقابل سياسة الاستقطابوسفاتستراتيجية التي باتت تهم الفاعلين اللتعظيملتعمـع العديـد من الدول داخـل الدوائر الجغرافية الإسـتراتيجية المختلفة مثل قطر وعمان وسـوريا في المنطقة العربية وغانا وسيراليون في القارة الإفريقية وطاجيكسـتان وكازاخستان وتركمانستان في آسيا الوسطى وفنزويـلا في أمريكيـا اللاتينية، بالتزامن مع تطويـر علاقاتها التجارية مع القوتين المؤثرتين في الشـؤون الإقليمية والدولية: الصين وروسيا. وبقدر ما تهدف إيران من خلال إسـتراتيجية الدبلوماسـية الاقتصادية النشطة إفقادَ ورقـة العقوبات تأثيرها على الداخل الإيراني بـلا رجعة، فإنها تهدف أيضًا إلـى تعظيم نفوذها في هذ الدوائر الجغرافية الإسـتراتيجية ضد تركيا التي تتقاطـع مصالحهـا مع إيران في تلـك الدوائر، ولا شـك أن تراجع الضغط الدولـي على تركيا وإيران فتحَ المجالَ واسـعًا أمامهما لمد نطاق النفوذ بما يصبُّ في صالح معدل القوة المطلوب للحصول على موقع الريادة الإقليمية.

فـي المقابل، تقاربت تركيا مـن خصوم إيران الإقليميـين، فمن ناحية حلَّت مرحلةٌ جديدة في العلاقات السـعودية-التركية، بمصالحة أنقرة للرياض أثناء زيـارة الرئيس التركـي رجب طيب أردوغان للرياض فـي أبريل 2022م، تلتها زيارةٌ لولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان لأنقرة ضمن جولة مكوكية تشـمل أيضًـا القاهرة وعمان في يونيو 2022م، قبل زيـارة الرئيس الأمريكي جو بايدن للمنطقة، وتتحسَّب إيران لأيّ تقارب سعودي-تركي من شأنه تشكيل محور سـني جديد يمتلك مشـروعًا مناهضًا للمشـروع الإيراني في الشـرق الأوسـط، ويحدُّ من نفوذها في سـاحات النفوذ الحيوية في العراق وسـوريا ولبنـان واليمن، ومـن ناحية ثانية، وهي الأكثر تأثيرًا على مسـتقبل صادرات الغاز الإيراني، شـهد النصف الأول من عام 2022م، تقاربًا تركيًا-إسـرائيليًا،

بموجب زيارة الرئيس الإسـرائيلي لأنقرة في مـارس 2022م، مع إحياء فكرة خط الأنابيب التركي-الإسـرائيلي (خط ليفياثـان) لخلق بدائل للغاز الإيراني والروسي، وما تصريح الرئيس التركي في فبراير 2022م بأن تركيا وإسرائيل يمكنهما العمل معًا لنقل الغاز الطبيعي إلى أوروبا[1] إلا دليلًا على ذلك.

هذه التحولات في المواقف التركية تجاه الرياض وتل أبيب ليس من شـأنها فقـط خلق بدائل للطاقة الروسـية بل سـتصبُّ فـي صالح التعـاون التركي-الكردستاني في مجال الغاز الطبيعي، وستُلقي بتبعاتها على مستقبل صادرات إيران من الغاز للزبون الأوروبي.

## ثالثًا: الأهداف التركية-الإيرانية من التصعيد في الدائرة الشرق أوسطية

لا تأتي أهمية منطقة الشـرق الأوسط في الإستراتيجيتين التركية والإيرانية من مسـاحتها الجغرافية أو حجم سكانها أو وفرة مواردها وثرواتها وخيراتها فحسب، بل من موقعها وسط مجال جيو-سياسي متميز في العالم، الذي تعتبره الدولتـان التركية والإيرانية مجالًا حيويًـا للتمدد وتعظيم نطاق القوة والنفوذ والحصول على موقع الريادة الإقليمية، لذلك شـكَّلت الدائرة الشرق أوسطية عبر التاريخ بؤرةً إسـتراتيجية ما بين الامبراطوريات وأصبح الاستيلاء عليها عنوانًا للنفوذ يشير إلى الدولة الأقوى كما بات انحسار النفوذ عنها دليلًا على انحسار النفوذ العالمي، وفيما يلي أهم الأهداف التركية والإيرانية من استخدام القوة المسلحة في ساحات النفوذ الشرق أوسطية مقارنةً باستخدامهم أدوات اقتصادية في مدّ نطاق النفوذ خارج الدائرة الشرق أوسطية:

1. الأهـداف التركيـة: يتمثَّل الهدف الرئيسـي لأنقرة من اسـتخدام القوة المسـلحة في السـاحتين العراقية والسورية في انتهاز الظرف العالمي بانشغال الفواعل الدولية عن الشـرق الأوسط في حماية مصالحها الحيوية في هاتين الدولتين خاصةً والشـرق الأوسـط عامة، ثم مد نطاق النفوذ وتعظيم المكانة بما يُسـهم في الحصول على موقع الريادة الإقليمية، لا سـيما مع قرب انتهاء

(1)–Reuters, Exclusive Iran struck Iraq target over gas talks involving Israel – officials, (Mar 2022 ,28), Accessed: Jun 2022 ,8, https://reut.rs/3mCXQHl.

معاهدة لوزان[1]* بحلول 2023م، التي حدَّت من الأطماع التركية للسيطرة على مناطق النفوذ التاريخية، فرغم اعتمادها بشكل رئيسي على الغاز الروسي، وكان يمكنها الاستغناء عن الغاز الإيراني، وعدم التباحث للحصول على الغاز الكردستاني، من خلال تعظيم حصتها من الغاز الروسي أو الأذربيجاني، غير أنها لجأت للقوة المسلحة لإيصال رسالة لإيران بأن الغاز الكردستاني مصلحةٌ حيوية لأنقرة، مع السعي لتحقيق عدَّة أهداف فرعية:

أ. إفقاد ورقة الضغط الإيرانية قيمتها: تهدف تركيا إلى التحلُّل من ورقة الضغط الإيرانية ضد تركيا وإن كان الغاز الإيراني يأتي في المرتبة الثالثة بعد الغاز الروسي والأذربيجاني، لأن طهران قد تستخدم غازها المصدَّر لتركيا كورقة ضغط ضد أنقرة لكونها تدرك مدى تأثير تلك الورقة على النشاط الصناعي التركي، للتأثير على مواقفها في بعض القضايا التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بإيران في إطار التنافس التركي-الإيراني على موقع الريادة الإقليمية.

ب. الخصم من معدل القوة الإيرانية: تحاول أنقرة من خلال مباحثاتها للحصول على الغاز الكردستاني بدلًا من الغاز الإيراني للخصم من معدل القوة الإيرانية التي تسعى إيران لتعزيزها في إطار تنافسها مع تركيا في العديد من ساحات التنافس داخل الإقليم وخارجه، وتُعد الطاقة الإيرانية من أبرز مرتكزات القوة الإيرانية في المستقبل حال رفع العقوبات، ولجوء طهران إلى تنفيذ مخططات تصدير النفط والغاز للزبائن الإقليميين والدوليين وفي مقدمتهم الزبائن الأوروبيون.

ج. تعزيز معدل القوة الشاملة التركية: تسعى تركيا لتعظيم معدل قوتها الشاملة ومكانتها الإقليمية من خلال تحويل أراضيها إلى مجمع مركزي للطاقة ولخطوط نقل الطاقة الممتدة نحو الغرب الأوروبي، وذلك لتحقيق الهدف الإستراتيجي المتمثل في خلق توازن يُفسد السيطرةَ الإيرانية والروسية على مصادر الطاقة المزوِّدة لأوروبا، وللهدف ذاته تتدخل تركيا في سوريا كونها

(1) * معاهدة لوزان عام 1923م: بعد نهاية الحرب العالمية الأولى تم التوقيع على المعاهدة في 24 يوليو 1923م، بين تركيا من ناحية ودول الحلفاء المنتصرة في الحرب من ناحية ثانية، وقد أنهت ما يسمى بالامبراطورية العثمانية والخلافة الإسلامية وحلت مكانها الجمهورية التركية العلمانية، وبموجبها تنازلت تركيا عن سيادتها على مصر والعراق والسودان وليبيا وقبرص وليبيا وبلاد الشام بعدما كانت خاضعة لسيادة الامبراطورية العثمانية، بل واعتبار مضيق البوسفور ممرًا مائيًا دوليًا لا يحق لتركيا تحصيل أية رسوم، وللمزيد يمكن الرجوع للمصدر التالي: https://bit.ly/30thb9O.

حلقــة وصل لعبــور الطاقة إلى تركيا ثم إلى الدول الأوروبية لتعظيم العائدات المالية وامتلاك أوراق ضغط سياسية.

2. الأهداف الإيرانية: لجأت إيران إلى التصعيد بالقوة المسلحة في الساحة العراقيــة، بعرقلة مشــاريع الغــاز الجديدة المتَّفق عليها بين كردســتان العراق وتركيا، فبينما تعيش إيران عقوبات قاسية أدَّت إلى تردِّي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، وأجَّجت الاحتجاجات الشعبية، تعتبر الجهود التركية-الكردستانية لتزويد تركيا وأوروبا بالغاز بمثابة تهديد مباشر لمصالحها بصفتها بائعًا عالميًا محتملًا للغاز، ولذلك تهدف إيران إلى:

أ. اســتمرارية ورقــة الضغــط الإيرانيــة ضــد تركيــا: رغم أن نســبة الغاز الإيرانية المصدَّرة لأنقرة قليلةٌ مقارنةً بالنِّســب التي تحصل عليها من روســيا وأذربيجان، فمثلًا اســتهلكت تركيا خلال 2020م نحو 46.4 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، استوردت منها 31.8 مليار متر مكعب، النسبة الأكبر منها من روســيا 15.6 مليار متر مكعب، والنســبة التالية من أذربيجان 11.1 مليار متــر مكعب، أما النســبة الأقل كانت من إيران 5.1 مليــار متر مكعب[1]، وهي تمثِّــل ما نســبته 16% فقط من حجــم الواردات التركية مــن الغاز خلال عام 2020م، حسب أرقام تقرير المراجعة الإحصائية للطاقة العالمية 2021م، غير أنها مهمةٌ بالنسبة لإيران للتخفيف من وطأة العقوبات، كما تدرك إيران أيضًا مدى تأثير الغاز الكردســتاني العراقي كلاعب جديد محتمل في إفقاد إيران ورقة ضغطها بالغاز ضد أنقرة للتأثير على المواقف التركية فيما يخصّ بعض الملفــات وثيقــة الصلة بإيران، حيث تدرك طهران مدى تأثير وقف تدفق الغاز لأنقرة على النشاط الصناعي التركي.

ب. الرغبــة في الحصول على جــزء محتمل من حاجة أوروبا للغاز: تتوجَّس إيران من التبعات المحتملة للجهود التركية-الكردستانية في مجال الطاقة على طموحاتها المســتقبلية لرفع صادراتها من الغاز حال رفع العقوبات ليس فقط نحو تركيا بل للدول الأوروبية، في وقت تســعى فيه طهران إلى اســتغلال هذه الظــروف لتطويــر علاقاتها مــع الغرب من خلال الغاز، ومن ثم فإن مســاعي

(1)–Natural gas, Iran, Statistical Review of World Energy 2021, Accessed: Jun 2022 ,10, https://on.bp.com/39iL6CS.

أنقـرة وأربيل لنقل الغاز من كردسـتان العراق إلى تركيـا وأوروبا تزعج إيران بشدة لتقديمها بديلًا آخر للغاز الروسي غير الغاز الإيراني وتفقد إيران فرصةً إسـتراتيجيةً لها. أضف إلى ذلك أن عقود الإمداد بالطاقة طويلة الأجل، وهو ما يشكل عقبةً أمام طموحات إيران المستقبلية في تعظيم صادراتها من الغاز لا سيما في ظل عدم إجراء أنقرة مفاوضات مع طهران لمد عقد استيراد الغاز الـذي ينتهـي في 2026م، ما يعنـي النية التركية في اسـتبدال الغاز الإيراني بالغاز الكردستاني.

ج. الحفاظ على مصلحة تصدير الغاز للعراق: دعم تركيا لزيادة إنتاج الغاز الكردي من شأنه التأثير على مصلحة إيران في تصدير الغاز للعراق، فإيران تستخدم ورقة الغاز في العراق للضغط على الحكومات المتعاقبة للحفاظ على المكتسـبات الإيرانية، لأن إيران تزوّد العراق بالغاز لإنتاج الكهرباء، حيث تمثل الحصـة الإيرانية من الغاز المصدَّر للعراق قرابة الثلث من إجمالي إنتاجه من الكهرباء البالغ 16 ألف ميجاوات، حيث أشـارت هيئة إدارة معلومات الطاقة الأمريكي خلال عام 2019م أن 28% من الكهرباء العراقية تعود لإيران، (23% منها من إمدادات الغاز وال5% من حصة الكهرباء المستوردة من إيران[1] والتي تقـدّر بنحـو 5000 6000- ميغاوات)[2]، ومن ثم فإن إيران تمتلك ورقة ضغط قوية على الحكومات العراقية لتنفيذ مخططاتها في السـاحة العراقية، لذلك تتخوَّف إيران من فقدان تأثير هذه الورقة.

وهنا يمكن الإشارة إلى الدور الذي تلعبه إيران ممثلةً في ميليشياتها المسلحة فـي العـراق في عدم اسـتفادة العراق مـن الغاز المصاحب فـي معالجة أزمة الكهرباء كبديل للغاز الإيراني لكونها مصلحةً حيويةً لإيران، فقد كشـف وزير الكهرباء العراقي السـابق قاسـم الفهداوي في نهاية يونيو 2021م عن وجود أيادٍ خارجية في إشـارة إلى إيران بقوله «إن وزير الكهرباء الأسبق عبدالجبار لعيبي حاول اسـتثمار الغاز المصاحب للنفط فـي حقل نهران عمر لكنه واجه صعوبـات كبيـرة وتحديات تتمثل بمصالح بعض الأحزاب السياسـية والتأثير

(1)–بي بي سـي عربي، كهرباء العراق: ما البعد الإيراني في أزمة الكهرباء التي يعيشـها العراق؟، (02 يوليو 2021م)، تاريخ الاطلاع: 05 يونيو 2022م، https://bbc.in/3O6GFJP.

(2)–اندبندنت عربي، معضلة الكهرباء في العراق ستستمر لسنوات و«سيمنز» أحد الحلول، (19 مايو 2021م)، تاريخ 06 يونيو 2022م، https://bit.ly/3xl3Vsc.

الخارجـي على هذا الملف»، مبينًا أن «هذا الحقل كان بإمكانه توفير 75% من كمية الغاز القادم من إيران وبتكلفة بسيطة جدا»[1]، حيث أفادت تقارير للبنك الدولي عن عام 2020م أن العراق أحد الدول الرائدة في حرق الغاز عالميًا[2]، حيث يصنف كثاني بلد عالميًا بعد روسيا في إحراق الغاز المصاحب.

ولكـن على مـا يبدو أن الفـرص المتاحة أمام إيـران لتصدير الغـاز للدول الأوروبية ضئيلة على ضوء عدم وجود ضمان لاستمرارية تدفق الغاز الإيراني لوقـوع إيران بشـكل متكرر تحت طائلـة العقوبات، وهو ما يحـولُ دون وجود مشترين كبار للغاز الإيراني، والتكلفة المالية الكبيرة والوقت الكبير المطلوب لمد أنابيب الغاز لآلاف الكيلومترات لتصل لأوروبا، كما أن الفائض من إنتاج الغاز الإيراني ليس كثيرًا لنقله لأوروبا رغم استحواذ إيران على ثاني أكبر احتياطي في العالم من الغاز بعد روسـيا، ويعود ذلـك إلى عدم امتلاكها البنية التحتية اللازمـة لزيـادة الإنتاج مع وقوعها تحت طائلة العقوبات وارتفاع الاسـتهلاك المحلـي[3]، فضلًا عن تزايـد الطلب الإقليمي على الغـاز الإيراني من الكويت وسلطنة عمان وباكستان، ولذلك فإن تصدير الغاز إلى أوروبا لن يشكّل أولويةً لإيران في الوقت الراهن.

وفـي المقابـل، تواجـه جهـود تصديـر الغـاز الكردسـتاني لتركيـا والدول الأوروبيـة، عقبـات داخلية وخارجيـة، أما الداخلية فتـدور حول رفض حزب الاتحـاد الكردسـتاني الخطوة وتزويـد تركيا وأوروبا بالغـاز[4]، وهي من أبرز العقبـات الداخلية التي تعترض طريق قـادة الإقليم للدخول كلاعب مؤثر في أسـواق النفط العالمية لكون الاتحاد الكردسـتاني شريك الحزب الديمقراطي الكردسـتاني فـي حكم الإقليـم، ويهيمن على واحدة مـن المحافظات الكردية الثـلاث التـي تضم عددًا من حقول الغاز، كما يشـكّل قرار المحكمة الاتحادية العليـا بالعـراق منتصف فبراير 2022م، بعدم دسـتورية قانون 2007م، الذي

(1)–العيـن الإخبارية، أزمـة الكهرباء في العراق.. من يقف خلفها؟، (30 يونيو 2021م)، تاريـخ الاطلاع: 09 يونيو 2022م، https://bit.ly/3HjDSuT.

(2)–الشـرق الأوسـط، 7 دول تحرق ثلثي الغاز المصاحب لاستخراج النفط عالميًا، (12 مايو 2021م)، تاريخ الاطلاع: 10 يونيو 2022م، https://bit.ly/3xOqlbC.

(3)–الجزيـرة، تمتلـك ثانـي أكبر احتياطي من الغاز.. هل يمكن لإيـران تعويض أوروبا عن الغاز الروسـي؟، (19 فبراير 2022م)، تاريخ الاطلاع: 06 يونيو 2022م، https://bit.ly/3mWdKNn.

(4)–شـبكة أخبار العراق، طالباني: الحكم في الإقليم مرفوض ولن نسـمح بتصدير الغاز وفق سياسة حزب بارزاني، (28 مايو 2022م)، تاريخ الاطلاع: 08 يونيو 2022م، https://bit.ly/3txDbYZ.

منحَ حكومة الإقليم سلطةَ إدارة قطاع الطاقة (نفط/غاز) بشكل مستقل عن بغداد عقبةً أخرى، حيث يصبح حق الحكومة المركزية، قانونيًا، مقاضاةَ أنقرة حال المضي في تنفيذ هذا المشروع لا سيما في ظل الأزمة بين العراق وتركيا حول السياسات التركية تجاه مياه الفرات.

أما العقبات الخارجية، فتتمثَّل في الفيتو الروسي-الإيراني على تقديم بدائل للغاز الروسي والإيراني، وقد أدركت حكومة الإقليم ذلك، فما أنْ أنهت إيران هجومها العسكري على أربيل، حتى صرَّح مسرور بارزاني في نهاية مارس 2022م: «تطوير قطاع النفط والغاز في الإقليم قد لا يكون في مصلحة إيران»[1]، كما أدركت أنقرة -أيضًا- بتأكيد أحد مسؤوليها أنَّ توقيتَ الهجوم في أربيل مثيرٌ للاهتمام، ويبدو أنه كان موجهًا بالدرجة الكبرى لصادرات الطاقة من كردستان العراق وللتعاون المحتمل الذي قد يشمل إسرائيل»[2]، حيث أن خطة تصدير الغاز قد تهدِّد مكانةَ إيران كمورّدٍ محتمل للغاز الطبيعي.

## الخلاصة

تكشفُ التحولات الدولية الكبرى المتعلقة بالتَّحدي الروسي للقواعد الدولية المستقرة منذ نهاية الحرب الباردة والانسحابات العسكرية الأمريكية من الأقاليم الجيو-إستراتيجية، والتغير في تراتبية القوى في النظام الدولي الراهن، أنَّ هناكَ واقعًا إقليميًا ودوليًا جديدًا بدأ يتشكَّل، تزداد خلاله مستويات التنافس بين تركيا وإيران، لأنه كلما زادت الضغوط المتأتية من النظام الدولي تجاهَ القوى الإقليمية المتصارعة قلَّ معدل التنافس أو الصراع البيني في سبيل مواجهة هذه الضغوط، ويزدادُ معدل التنافس أو الصراع البيني كلما تراجعت الضغوط المتأتية من النظام الدولي لا سيما النظام الأُحادي القطبية، فقد خلَّفت هذه التحولات الدولية لتركيا وإيران، مساحةً واسعةً للتنافس ومرحلةً جديدة من الصراع عند مساعيهم لاستغلال الفراغ الإستراتيجي الذي تمخَّض عن الانسحابات العسكرية الأمريكية، وتراجُعِ

(1) -2 الجزيرة، مشروع غاز كردستان العراق إلى أوروبا يواجه مأزق الخلافات الداخلية، (07 مايو 2022م)، تاريخ الاطلاع: 10 يونيو 2022م، https://bit.ly/3Hjncnh.

(2)–Reuters, Exclusive Iran struck Iraq target over gas talks involving Israel – officials, (Mar 2022 ,28), Accessed: Jun 2022 ,8, https://reut.rs/3mCXQHl.

أولويةِ الدائرةِ الشــرق أوسطية في الإســتراتيجية الأمريكية، وانشغال القوى الكبرى بمســألة تعظيم مكانتها وموقعها في تراتبية القوة في النظام الدولي، وبالحرب في أوكرانيا، وبروز الغاز الطبيعي (مسألة حيوية للدولتين) كمحرك جديد للتنافس والصراع للحصول على جزءٍ من الحاجة الأوروبية للغاز البديلً للغاز الروسي.

وتكمُــن خطورة هــذه المرحلة الجديدة مــن التنافــس التركي-الإيراني أنها ترتبطُ بالمسألة الحيوية، وهي مرحلةٌ تسبقُ المرحلة الأخيرة من مراحل تعارُضِ المســائل، وهي المســألة المصيرية، وتكونُ المسألةُ مصيريةً بالنسبة للدولة حالَ تعــرُّضِ وجودها وبقائهــا للخطر إما نتيجةً لهجوم عســكري على إقليمها، أو نتيجــةً لهجــوم حــال الهجوم عليها إنْ هــي لم تنفِّذ مطالــبَ الخصم، أو عند وصــول مســتوًى خطورة تعارَض المســألة الحيوية لمســتوى المســألة مصيرية بوصول درجةِ كثافةِ خطورة المسألة الحيوية نفس درجةِ كثافةِ خطورة المسألة المصيرية وانتفاء عامل الزمن للتباحث مع الحلفاء أو المساومةَ مع الخصم، أو لاتخاذ إجراءات هجومية لتحذير الخصم بأنه ســيدفع الثمن غاليًا إذ لم يُنهِ ضغوطَه السياسية والاقتصادية والعسكرية.

يتوقع اســتمرارية ارتفاع مستويات وساحات التنافس التركي-الإيراني ليس فقط في الشــرق الأوســط بل في بقية ساحات التنافس بأدوات نوعية حسب طبيعة كلِّ ســاحة، وذلك بسعي الطرفين لاســتغلال هذه الفُرص التي خلَّفتها التحولات الدولية لتمرير مشاريعهم التوسعية والتدميرية، إذ يسعى كلاهما إلى ممارســة دورٍ أوســعَ نطاقًا وأعمقَ تأثيرًا، مع تمسُّك إيران بجني ثمار الأثمان المادية والبشــرية التي تكبَّدتها لمدِّ نطاقِ النفوذ في المنطقةِ الشــرق أوســطية، مقابلَ رغبةِ الأتراك في تعزيزِ الاستفادة من العهد الجديدَ الذي تتوقَّعهُ أنقرة بموجــب انتهاء معاهدة لوزانَ بمناســبة مــرور 100 عام علــى الاتفاقية التي صدَّقت عليها تركيا عام 1923م، لا سيما في ظل غياب مشروع عربي يواجُه المشــروعين التركي والإيراني باستثناء المواجهة السعودية للمشاريع التدميرية فــي المنطقة، وتعارُض المســألةِ الحيوية بين الدولتين التركيــة والإيرانية على خلفيةِ التباحث التركي مع كردستان العراق لتزويد أنقرة بالغاز ما يُفقِد إيران

ورقتــي الضغط ضدَّ العراق وأنقرة، وكذلك فرصةً جوهرية لتعظيم العلاقات التجارية مع الدول الأوروبية مستقبلًا.

لكن على ما يبدو أنَّ هناك إدراكًا من القيادات السياسية العربية والخليجية لهــذه التحولات الدولية التــي ألقت بظلالها على القضايــا والمصالح العربية جرَّاء الجولات المكوكية التي يجريها القادةُ وكبارُ المسؤولين العرب في العديد مــن العواصم العربية وغيــر العربية، آخرها الزيارة التــي أجراها ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان للعاصمة المصرية والأردنية ثم التركية يونيو 2022م، وقبلهــا القمة الثلاثية المصرية-الأردنية-البحرينية في شــرم الشــيخ، للتباحث حول مســتقبل المنطقة العربية على ضوءِ التحولات الدولية الراهنة، ويُنتظَر أنْ تُسفر التحركات العربية الجارية عن سياسات ومحاورَ إستراتيجية تحدُّ من الاندفاعة التركية والإيرانية للتنافُس على المنطقةَ العربية، وإلَّا ستظلُ المنطقة العربية تحَتَ رحمةِ المطرقة الإيرانية والسندان التركي.

info@rasanahiiis.com
@rasanahiiis
www.rasanah-iiis.org